موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية

د. جورج حبيب باوي

محاضرات في تجسد الكلمة

للقديس أثناسيوس الرسولي

المحاضرة الخامسة

www.coptology.com

Coptology

Ϩⲁⲛⲱϣ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

محاضرات في تجسد الكلمة

للقديس أثناسيوس الرسولي

المحاضرة الخامسة

دكتور

جورج حبيب باوي

٢٠١٠

www.coptology.org

الخلق والتجسد،
ونعمة الحياة الجديدة في المسيح

مَن يدرس كتاب تجسد الكلمة بعناية يستطيع أن يرى أن القديس أثناسيوس قدَّم بوضوح موضوع التجسد في الفصول السبعة الأولى في إطار محدد، هو:

- خلق الكون من العدم.
- خلق الإنسان على صورة الكلمة.
- سقوط الإنسانية في آدم.
- مجيء الكلمة الابن بسبب صلاحه ومحبته.

ولذلك لا تسمح الدراسة الجادة لكتاب تجسد الكلمة أن نـــدور في دهـــاليز "التخمين" عن سبب مجيء الكلمة متجسداً، فالقديس والمعلم العظيم يحدد هذا السبب على سبيل القطع في كل كتاباته، ويبرزه – بشكل خاص - في الرد على الأريوسيين.

ففي تجسد الكلمة نجد أن:

- "الكلمة خالق كل الأشياء، وهو محب البشر هو ذاته الكلمة الذي وهـــب الإنسان أن يشترك في قوة الكلمة الإلهية لكي يحيا الحياة الإنسانية حسب اللوغوس أي ليكون عاقلاً" (تجسد الكلمة ٤: ٦ – ٥: ١ – ٦: ٤).
- "هو محب البشر والوحيد القادر أن يأتي بالفاسد إلى عدم فساد" (٧: ٥).
- "وأن يرد للإنسان الصورة الإلهية أي النعمة التي فقدها الإنسان" (٧: ٤).

ومن هنا يتضح لنا أن الخطية الأولى كانت فقدان نعمة، ولم تكن - كما هو سائد في أدبيات العصر الوسيط - عصيان وتمرد على الله، فقد استدار الإنسان نحـــو ذاته ليكوِّن صورةً لنفسه، وكان هذا هو السقوط في جوهره.

وهنا يبرز سؤال يطرح نفسه: من الذي كان يستطيع أن يعيد للإنسان النعمة؟

الجواب: هو واهب النعمة:

"كلمة الله الذي خلق في البدء كل شيء من العدم" (٧: ٤).

هنا يكون الشرق الأرثوذكسي قد حدد أن سقوط الإنسان ليس هو فقدان النعمة، بل فقدان الشركة.

فقد جاء الكلمة متجسداً لكي "يشترك الإنسان في حياته"، وفي وجوده الإلهي كأقنوم في الثالوث. فالخلاص هو عودة الإنسان إلى حياة الشركة، وإلى الصورة ليس بوسيلة مخلوقة ولا بواسطة مخلوق، بل بواسطة الخالق.

وبالتالي لم يكن الخلاص هو دفع فدية[١] حسب تعليم العصر الوسيط السائد[٢] عندنا الآن في كتابات الأنبا بيشوي والأنبا شنودة الثالث.

"لأنه هو الكائن الكلي القدرة وخالق كل الأشياء، أعد الجسد من العذراء ليكون هيكلاً له وجعله جسده الخاص متخذاً إياه أداةً ليسكن فيه ويُظهر ذاته به" (تجسد الكلمة ٨: ٣)[٣].

وهنا أيضاً يتبين لنا أن إعلان الكلمة عن ذاته كان أحد أهداف التجسد؛ لأن هذا الإعلان يتضمن أيضاً الإعلان عن الآب، وكذلك الروح القدس.

---

(١) راجع بالتفصيل كيف استخدم القديس أثناسيوس كلمة العهد الجديد نفسه "فدية" وفي أي إطار يجب أن نفهم كلمة الفدية – حسب شرح القديس أثناسيوس نفسه – وذلك في دراستنا عن موت المسيح على الصليب، منشورة على موقع www.coptology.com

(٢) إن ظهور صلاح الله ومحبته بحرية تامة خلواً من قيود القانون يُعد تهديداً خطيراً لكل نظام ثقافي واجتماعي، ولذلك كان الهدف الذي سعت إليه التوليفة القانونية الأوربية التي جاء بها لاهوت العصر الوسيط هو تكوين المواطن المسيحي "المدجَّن" الذي يتحول إلى خادم مطيع للثقافة والقانون عن طريق "تدجين" الإنجيل، وهو ما كشف عن فقدان للرؤيا الأبدية لمحبة الله حيث لا يسود قانون مهما كان.

(٣) لم يذكر القديس أثناسيوس في هذه الفقرة حلول الروح القدس على والدة الإله العذراء مريم لكي يتجسد منها ابن الله، ولكن نلفت النظر إلى إن دور الروح القدس كان قد شُرِحَ بكفاية في الرسائل إلى سرابيون.

أركان الإيمان المسيحي الأرثوذكسي

هكذا يجب أن نفهم أركان الإيمان المسيحي نفسه والأرثوذكسي بشكل خاص.

أولاً: إن ما خُلِقَ من العدم يستمد كل ما فيه من الله، لأن وجوده ليس من ذاته.

ثانياً: لا توجد لدى الإنسانية بشكل خاص القدرة على تغيير كيانها بدون نعمة الله الوافرة التي تعيد للإنسان الحياة التي فقدها.

و"فقدان الحياة" هنا هو تعبير معلمنا العظيم عندما كان يناقش عدم كفاية التوبة لتجديد الإنسان؛ لأن التوبة:

"لا تقدر أن تغير طبيعة الإنسان، بل كل ما تستطيعه هو أن تمنعهم من السقوط في الخطية" (٧: ٣). فالمأساة هي أن "تعدي الإنسان" لم يعد "مجرد عمل خاطئ لم يتبعه الفساد" (٧:٤)، فقد حدث تغيير في طبيعة الإنسان وسقط الإنسان تحت سلطان الموت بسبب تحول الطبيعة الإنسانية إلى "الفساد"، أي الانحلال الطبيعي، وأيضاً لأن الله حذَّر الإنسان من العصيان، وحذَّره من الموت، ولكن الإنسان وجد نفسه في هذا المأزق الذي لا مهرب منه بالمرة:

- الموت بسبب الخطية.
- الحكم بالموت

هذه الثنائية هامة جداً؛ لأن الشق الأول منها هو تحول طبيعة الإنسان من الوجود "حسب الصورة" إلى الوجود "حسب الطبيعة" الأولى التي جاء منها الإنسان، وهي العدم. وقبل أن تتوتر الأعصاب وتنطلق الاتهامات، لم يعد الإنسان إلى العدم؛ لأن صلاح الله أبقى على الإنسان في الموت لكي يأتي المخلص ويجدده. ولذلك عندما يشرح أثناسيوس العظيم القوة الإلهية المحركة للتجسد، يقول:

"لكنه أتى إلينا في تنازله، ليظهر محبته لنا ويفتقدنا ... وإذ رأى أن الجنس البشري العاقل يهلك وأن الموت يملك عليهم بالفناء، وإذ

رأى أيضاً أن حكم التعدي قد خلَّدَ الفناء فينا" (٨: ١ - ٢).

ولاحظ بقية الكلمات

"لم يحتمل أن يرى الموت وقد صار له السيادة علينا لئلا تفنى الخليقة ويتلاشى عمل الله .. " (٨: ٢).

لقد بقي الإنسان في الوجود كمائت، أو حسب تشبيه أثناسيوس مثل مدينة أحاط بها الأعداء، ولكن الملك جاء وسكن في المدينة (٩: ٣)، ولذلك بطلت كل مؤامرة العدو ضد البشر (٩: ٤).

ثالثاً: بدون الشركة في حياة الكلمة لا خلاص لنا.

هذه الحقيقة البسيطة لا يمكن تجاهلها؛ لأن الإنسان المخلوق من العدم لا يملك حتى حياته الخاصة الإنسانية. لهذا جاء التدبير الإلهي بالمخلص الإلهي لكي ما يعطينا من إلوهيته القدرة على البقاء الأبدي ليس في حالة الانفصال، بل حسب عطية "التبني".

وهكذا فالادعاء بأن سقوط آدم كان هو اشتهاء الإلوهة مثل سقوط الشيطان، تكون نتيجته تحطيم التجديد أو التدبير، ليس ذلك فقط، بل يعيدنا ذلك إلى ذات حالة الشيطان نفسه ... يا له من تجديف على الرب يسوع!!!

طبيعة جسد الكلمة

حسب ترتيب الفصول نفسها يضع أمامنا معلمنا العظيم تحديداً دقيقاً لجسد الكلمة:

* "جسداً مماثلاً لطبيعة أجسادنا" (٨: ٤ – ٩: ٢ – ٩: ٤ – ١٠: ٤).
* "جسداً قابلاً للموت" (٩: ١ – ١٣: ٩ – ٢٠: ٤ – ٣١: ٤).
* "جسدُ بشر" (١٧: ٢).
* "الجسد ... كان جسداً بشرياً" (٢٠: ٤).

وعبارة "جسداً مماثلاً لطبيعة أجسادنا"، هي عبارة تؤكد أن جسد المسيح من

ذات الطبيعة التي ينتمي إليها البشر، وخلف هذا التأكيد تكمن حقيقة تاريخية، هي الدفاع عن شخص المسيح ضد بدعة "الدوستية"[١] الذين اعتبروا أن جسد المسيح جسداً خيالياً، أي أن له شكلاً إنسانياً، ولكنه بلا طبيعة إنسانية حقيقية.

لكن هذا التأكيد على حقيقة التجسد عند القديس أثناسيوس يجب ألاَّ نراه في شكل دفاع ضد الهرطقة القديمة، بل من خلال محتوى وطريقة شرح الإيمان نفسه، ففي الفقرة ٨: ٤ هناك تشديد على أن الجسد خاضع للموت مثل جميع البشر الذين خضعوا للموت:

> **"وهكذا إذ اتخذ جسداً مماثلاً لطبيعة أجسادنا (نحن البشر) وإذ كان الجميع خاضعين للموت والفساد، فقد بذل جسده للموت عن الجميع وقدمه للآب. كل هذا فعله من أجل محبته للبشر:**
>
> **أولاً: لكي إذ كان الجميع قد ماتوا فيه، فإنه يُبطل عن البشر حكم الموت والفناء؛ لأن سلطان الموت قد أبيد في جسد الرب، فلا يعود للموت سلطان على أجساد البشر.**
>
> **ثانياً: وأيضاً؛ لأن البشر الذين رجعوا إلى الفساد بالمعصية، يعيدهم إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت بالجسد الذي جعله جسده الذاتي (الخاص) وبنعمة القيامة يبيد الموت فيهم كما تبيد النار القش"**
>
> (تجسد الكلمة ٨: ٤).

تعد هذه الفقرة بالذات ملخص هام لشرح القديس أثناسيوس، ولكن يجب أن لا تحرمنا كثافة الشرح من اكتشاف التعليم نظراً لدقته، فهو يؤكد:

* خضوع كل البشر للموت، وبالتالي كان جسد الرب خاضعاً للموت مثل كل البشر.

* هذا الخضوع للموت لا ينال من مجد الابن، ولا من إلوهيته، بل على

---

(١) يترجم اسم الهرطقة إلى "الخيالية" من Docetism وتعتبر أول هرطقة في تاريخ المسيحية. حاربها الشهيد أغناطيوس الإنطاكي، وهي تؤدي حتماً إلى تطور لاحق وهو إنكار التجسد (والاكتفاء بلاهوت الابن وحده)، وبالتالي إنكار الصلب، وبالتالي إنكار القيامة.

العكس، فهو تعبير عن "محبته للبشر"، "هو دخولُ مَن هو الحياة" إلى دنيا الأموات لكي يقلب كل شيء رأساً على عقب.

* لقد دخل الرب إلى دنيا الأموات بجسد قابل للموت (٩: ١ – ١٣: ٩ – ٢٠: ٤ – ٣١: ٤)؛ لكي يقبل الموت، وقبول الموت في جسد خاضع للموت هو الأسلوب الوحيد للقضاء على الموت؛ لأن الموت لا يمكن أن يدخل إلى الإله المتجسد إذا كان الإله المتجسد متحصن "في عدم الموت"، أي اللاهوت، ولكنه ترك الموت يأتيه لكي يبيده.

* ولعلنا هنا يجب أن نقف قليلاً أمام نقطة هامة، بل لعلنا نأسف إذ لم يتوسع القديس أثناسيوس في شرحها، وهي علاقة الموت بالفناء. فالحكم بالموت هو بقاءٌ في الموت إلى الأبد. هذا هو معنى كلمات سفر التكوين (تك ٢: ١٦ – ١٧)، فـ "موتاً تموت" لا تعني بالقطع مجرد الموت فقط، بل البقاء في فساد الموت إلى الأبد (٣: ٥).

* لكن الفناء هنا يجب أن يُستوعب من حقيقة واحدة هامة، وهي أن الإنسان كائن حي ذي جسد، يحيا جسدياً في الكون الذي خلقه الله لكي يكون الإنسان فيه "سيد وملك الخليقة" ، "كصورة الله"، ولذلك إذا لم يتحقق هذا، تحول الوجود الإنساني إلى "عدم"، وحتى كلمة "فناء" (٤: ٦ – ٥: ٤)، أو كلمة "انحلال"، أو "فساد" (٦: ١ – ٦: ٤ – ٧: ٢ – ٨: ٢)، فهذه كلها تعابير عن عدم وصول خليقة الله إلى غايتها، وهي "أن تعيش مثل الله" (٤: ٦)، ولكنها سقطت تحت سيادة الموت. وحسب الترجمة العربية الحديثة، وهي أقرب إلى قوة التعبير في الأصل اليوناني[١]:

> **"بدأ البشر يموتون ... بدأ الفساد يسود عليهم، بل صارت له سيادة على كل البشر أقوى من سيادته الطبيعية، وذلك لأنه حدث نتيجة عصيان الوصية التي حذَّرهم الله أن لا يخالفوها"** (٥: ٢).

إذن، فالبقاء في الكون كصورة لله، هو بقاء مستحيل بدون الشركة، ولكن

---

(١) راجع تجسد الكلمة، ترجمة د. جوزيف موريس فلتس – المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية – القاهرة – سلسلة نصوص آبائية ٦٢ – الطبعة الأولى أغسطس ٢٠٠٢.

بالشركة وحدها يبقى الإنسان حياً في الجسد، فالجسد لا يمكن أن يكـــون إلاَّ حيـــاة الإنسان الحقيقية في الكون، فإذا ضَرَبَ الموتُ هذا الوجود الإنساني، وسقط الإنســـان تحت سيادة الموت الذي اكتسب سيادةً على الإنسان بسبب انقطاع العلاقة بـــين الله والإنسان، وبما أن الله هو مصدر الحياة، واللوغوس هو النور الذي يتبعه الإنسان كظلٍ له (٣: ٣)، فإن الانحلال هو فقدان هذه الوحدة التامة بين الجسد والـــروح، وبقـــاء الإنسان في الموت هو بقاء لحياة غير إنسانية بالمرة تتعارض مع غاية خلق الإنسان.

الرد على الاتهامات المعاصرة

يُعد كلٌ من M. Richard و A. L. Petterson و J. Liebaert من أقوى خصـــوم معلمنا القديس أثناسيوس السكندري[١]. فقد قالوا كلهم إن أثناسيوس وقع تحت تأثير الفلسفة الأفلاطونية المحدثة، وكلهم قالوا إن أثناسيوس بشكل عام اعتقد بأن الـــروح سُجِنَت في سجن الجسد، وأن الجسد هو مشكلة الإنسان الأولى والأخيرة، وأن الروح حرة لا تموت، ولا تتأثر بالعواطف وميول الجسد.

هذا هراء وسخافة.

ومع ذلك أصبح الرد عليهم ضرورياً من أجل سلامة الإيمان نفسه، ولـــيس حفظاً لكرامة معلم عظيم يستحق كل دفاع شريف كريم. وبدايةً نلفت النظر إلى أن هذه الاتهامات تخفي خلفها الموضوع الأصلي، وهو "معاداة النسك"؛ لأنه تحت تـــأثير المدرسة الألمانية التي قادها هارناك *Harnack* ظل عدد كبير من تلاميذه يعتقدون أن الآباء أدخلوا الفلسفة اليونانية في اللاهوت ونزعوا عن اللاهوت المسيحي كل صـــلة بالكتاب المقدس وبشكل خاص التعليم النبوي العبراني.

---

(١) راجع:

1- M. Richard, St Athanasius and the psychological life of Christ and Arianism, 1947, p5ff.

2- A. L .Petterson, The Questioning Christ in Athanasuis Contra Arianus 111. 1987, p 327ff.

3- J. Liebaert, La Doctrine Christologique, 1951, p 148ff.

وهنا سوف نكتفي بعجالة سريعة، ولكن مركزة جداً حتى نعود إلى الموضوع الأصلي:

أولاً: الجسد حسب الرسالة إلى الوثنيين وتجسد الكلمة، هو مخلوق بإرادة الله الصالح الذي لم يخلق الشر، بل خلق كل شيء صالحاً بواسطة اللوغوس – الكلمة (الرسالة إلى الوثنيين: الفصل الأول كله – تجسد الكلمة: الفصل الثاني والثالث).

إن صلاح الخليقة هو ضد تعليم "الغنوصيين"، وينفي عن النسك الذي يؤمن بخلق كل الأشياء بواسطة الله الصالح، كل تعليم بأن الجسد شرير أو مصدر الشر.

ثانياً: حسب الأنبياء، الإنسان "صورة الله ومثاله"، وأنه شريك الكلمة في قوة الكلمة العاقلة (تجسد الكلمة ٣: ٣)، وأن هذه الشركة هي "نعمة" سبق الله وأعطاها للإنسان بالإضافة إلى "نعمة الخلق من العدم" (تجسد الكلمة ٣: ٣). هذا التعليم غائب عن مدارس الفلسفة اليونانية السابقة والمعاصرة للقديس أثناسيوس، وبالتالي لم يدخل الشر من الجسد حسب تعليم الغنوسية، وليس الجسد هو مصدر معاناة وألم النفس حسب تعليم أفلوطين[1].

من المضحك المبكي أن نسلم بصحة ما قاله هؤلاء عن القديس أثناسيوس؛ لأنه كيف لمن فنَّد الأفكار المعاصرة عند اليونانيين والغنوسيين (تجسد الكلمة – الفصل الثاني كله)، أن يكون هو نفسه تلميذاً لهم!!

وهنا يمكننا أن نطرح السؤال الآتي:

ما هو الحد الفاصل بين العلم المسيحي الأرثوذكسي، والمدارس الفلسفية المعاصرة له والسابقة عليه؟

والجواب:

١- الكون من عمل وخلق الله الصالح.

٢- الآب الصالح يضبط كل الأشياء بالكلمة – اللوغوس. وأن كل شيء به وفيه يحيا ويتحرك (١: ١).

---

(١) راجع: Plotinus, Ennead. 3:6.1 وأيضاً Nemesius, De Natura Homini, 3:22

٣- صلاح ومحبة الله للبشر هي سبب خلق الإنسان على صورة الله (١: ٣)، وأن هذا الصلاح لم يتوقف عند خلق الإنسان، بل أكمل الخلق بالتجديد بواسطة خالق الكون، وهو الكلمة (١: ٤).

٤- الخلق من العدم (٣: ٣) هو تعبير مطلق عن صلاح الله الذي أتى بالإنسان إلى الوجود (٦: ٩).

٥- لم يكن سقوط الإنسان عملاً جسدانياً، أو بسبب "سجن الروح في جسد"، بل تم أولاً بغواية الشيطان (٦: ٤ – ٦: ٥)، وثانياً – وحسب عبارة المعلم السكندري نفسه -:

"البشر احتقروا تأمل الله"، أو "التفكير في الله" (٤: ٤).

وبدأ التراجع عن الحياة كصورة الله بخلق الشر حسب صورة الإنسان الذي أراد أن يعيش بدون شركة في الله.

وخلق الشر يظهر أولاً في الرسالة إلى الوثنيين ٣: ٥. فهو الشر الذي له وجود عقلي غير حقيقي، أي ليس له طبيعة خلقها الله (الرسالة إلى الوثنيين ٤: ٢٠)؛ لأن الوجود الحقيقي الذي خلقه الله يأخذ بقاؤه ويستمر في الوجود؛ لأن له مثال يمده بالبقاء، وهو الله نفسه (الرسالة ٤: ١٥ – ٢٠).

كما يظهر الشر ثانياً في كتاب تجسد الكلمة عندما يتحول اتجاه الإنسان:

"حوَّل البشر وجوههم عن الأمور الأبدية" (٥: ١).

وحسب الأصل:

"οιδε ανθροποι αποστραφεντες τα αιωνα لكن البشر"

والفعل هو αποστρεφω أي التحول إلى الجهة المضادة تماماً، وبذلك يصبح المعنى أكثر وضوحاً، وهو تحول عن الأمور الأبدية إلى ما هو غير أبدي.

هذا لم يحدث بسبب الجسد، أو في حياة سابقة على الجسد حسب تصور أفلاطون، بل حدث في حياة الإنسان وهو على الأرض، وفي وجوده الكامل روحاً وجسداً، فأدَّى هذا إلى دخول فكرة الموت في الحياة الإنسانية؛ لأن البقاء أصبح

مستمداً من كيان الإنسان نفسه وأصبح الإدراك قاصراً على الأمور المرئية القريبة إلى الحواس الخمس، و لم يعد للأبدية مكان في حياة الإنسان أو فكره.

هنا فقط اتجه الإنسان إلى الجسد وصار وجوده في الجسد هو الوجود الحقيقي المضمون لأن الإنسان ترك "صورة الله".

وحسب تعبير القديس أثناسيوس، وهو هنا يشرح ما حدث لآدم وحواء معاً في الفردوس كمثال لسقوط الإنسانية:

"بدأ يحدد كيانه، وكلاهما معاً (آدم وحواء) **سقطا في الرغبات الجسدانية وأدركا أنهما عريانين ... لأنهما تركا تأمل الأمور الإلهية وحولا عقليهما إلى الاتجاه المضاد"** (الرسالة إلى الوثنيين ٣: ٢ – ٢٥).

هنا بالذات وحسب كلمات المعلم السكندري:

"بهذا بدأت النفس *Soul* تضم المخاوف والرعب واللذات وأفكار الموت" (الرسالة إلى الوثنيين ٣: ٢٨ – ٣٠).

الفساد دب في الحياة الداخلية وامتد إلى الحياة الخارجية، أي الوجود الجسداني، وهو المكان الوحيد في العالم الذي يجعل الإنسان إنساناً.

٦- فإذا كان السقوط عقلياً أو روحياً على مستوى النفس أو الإدراك والتحول إلى الاتجاه المضاد لكي تصبح الحياة التي أفسدها الموت، وقد تحولت إلى الأقرب إلى الإدراك وهو الجسد لكي تضع في الجسد "الخوف والرعب وأفكار الموت" التي لم تأت من الجسد بل من مصدرين هما الشيطان وتحول الإنسان إلى ما هو ضد الله وضد ما هو أبدي.

٧- في كل مؤلفات القديس أثناسيوس يوجد ما يؤكد ضعف الجسد وانحلاله وعجزه، ولكن هناك أيضاً في نفس المؤلفات التشديد على قيامة الجسد، لا على التخلص منه بالمعنى الغنوصي أو تدميره في النسك غير المسيحي، بل لقد أكد أثناسيوس في أكثر من مرة على أن اتحاد الكلمة بالجسد يعني تقديس الجسد وربط

أثناسيوس ذلك بحقيقة إيمانية مؤداها أن:

أ- الكلمة غير مادي.

ب- الكلمة غير مائت، حوَّل الإنسان إلى غير مائت (٢٠: ١).

وهذا يعني أن اتحاد الكلمة بالجسد "يبقى في عدم فساد بسبب اتحاد الكلمة به" (٩: ١)، ولذلك أباد الكلمة الموت في الجسد (١٢: ٩ – ٢٠: ٤).

وفي عبارة موجزة يضع المعلم العظيم أساس الحياة المسيحية:

"لقد جاء الكلمة في جسد بشري وأعطاه الحياة (١٧: ٢).

ولذلك يضع أثناسيوس لبنة الأرثوذكسية في كلمتين عن تجسد الابن:

"الحضور المتجسد، وهو الحضور الذي به قدَّس الجسد" (١٧: ٥ – ٤٢: ٦).

وهكذا اشترك الجسد في صفات الكلمة:

- عدم الموت.
- وعدم الفساد.

وأضاف أثناسيوس إلى ذلك عدم الألم كأحد ثمار القيامة:

"أقامه حالاً في اليوم الثالث حاملاً عدم الفساد وعدم التألم اللذين حصلا لجسده كعلامة للظفر والانتصار على الموت" (٢٦: ١).

جسد آدم قبل السقوط أم بعد السقوط

طرح هذا الموضوع في أوساط الشيع البروتستانتية وبالذات عند شيعة الأدفنتست أو السبتيين، والاتجاه العام وضع تحت كلمتين:

Anti - Lapserian ما قبل السقوط

Lapserian السقوط

وطبعاً كان السؤال الذي لأجله عُقد المجمع السادس، وهو آخر مراحل الرؤية

الأرثوذكسية للتجسد، هو عن الإرادتين، وطبيعة الإرادة الإنسانية في المسيح. وتعد كتابات القديس مكسيموس المعترف هي أهم ما دون في هذه المرحلة ويليه في الأهمية ليونتيوس *Leontius*.

والذي يهمنا هنا دون الدخول في متاهات الصراعات الفلسفية حول الشخص – الأقنوم – الاتحاد الأقنومي ... إلخ هو أن القديس أثناسيوس لم يعاصر هذه الصراعات، ولم يستخدم حتى تعبير الطبيعة في شرحه لتجسد الرب، بل استخدم مفردات العهد الجديد: *Sarex – Flesh* و *Soma* جسد، ولم يميِّز بينهما. وما دار من حوار حول الفرق بين *Sarex* و *Soma* على أرض دراسات العهد الجديد في القرن العشرين غير معروف بالمرة عند القديس أثناسيوس، فهو لا يقول مطلقاً إن *Sarex* هي الطبيعة الساقطة، أو اللحم *Flesh* الشرير ... إلخ

وهذه هي عبارات القديس أثناسيوس نفسه التي لا يميِّز فيها بين *Sarex* و *Soma* عندما يشرح الإيمان الرسولي؛ لأنه عادة ما يستخدم كلمة "الإنسان":

"الكلمة صار إنساناً، أو ظهر في إنسان". وقد ورد هذا التعبير حوالي ٢١٣ مرة بحسب الأصل اليوناني في تجسد الكلمة.

"أخذ الكلمة جسداً". وقد ورد هذا التعبير على الأقل ١١ مرة في تجسد الكلمة في الفصول: ١، ٤، ٨، ٩، ١٠، ١٣، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ٢٠.

واستخدم التعبير *Sarex* في المقالة الأولى في الرد على الأريوسيين في الفقرات: ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٦٠، ٦٢، ٦٤.

واستخدم تعبير "الإنسان هو جسد" *Soma* أو *Sarex* في ضد الأريوسيين ٣: ٣٠.

> **"لأنه كما قال يوحنا "الكلمة صار جسداً"، فمن عادة الكتاب أن يدعو الإنسان بلفظة "جسد"، كما يقول يوئيل: النبي "أسكب روحي على كل جسد" (يوئيل ٣: ٤). وكما قال دانيال إلى استياجيس: لست أعبد الأصنام المصنوعة بالأيدي، بل الإله الحي الذي خلق السماء والأرض وله سلطان على كل جسد (تتمة سفر دانيال:**

٥)، فكل من دانيال ويوئيل يدعوان جنس البشر جسداً".

الخلفية التاريخية لجسد ما قبل السقوط

ما قبل السقوط، أي ناسوت أو إنسانية الله الكلمة هو بحث خاص بطبيعة الجسد الذي قُدِّم ذبيحةً لأجلنا أو عنا (لا فرق بالمرة بين التعبيرين).

كان تطور نظرية الفداء في الغرب يسير تحت تأثير تعليم أنسلم *Anselm* بتقديم الترضية لله الآب، ذبيحة خالية من الشر أو الخطية، وبالتالي كان من الضروري لكل من تزعَّم هذا الاتجاه أن يسأل:

وماذا عن طبيعة إنسانية المسيح؟

ولكن هؤلاء لم يميِّزوا بين:

* قداسة إنسانية المسيح، فهو بلا خطية.
* قداسة تعود إلى أنه أخذ طبيعة آدم.

فقداسة المسيح الإنسانية لأنه بلا خطية هو تعليم عام مقبول في الشرق والغرب، وهو لا علاقة له بالمرة بموضوع الذبيحة؛ لأن الذبيحة حسب فكر أو نظرية أنسلم لم تكن معروفة في زمن الآباء بالمرة، ولا وجود لها إلاَّ مع بداية العصر الوسيط الأوربي. فالمسيح ربنا بلا خطية ليس لأنه أخذ طبيعة ما قبل السقوط، بل لأنه أخذ الطبيعة الإنسانية الساقطة لكي يحولها في أقنومه إلى حرة مقدسة، ليس فقط بالاتحاد بلاهوته، بل بنمو هذه الطبيعة في وسط التجارب والصراعات والموت والخوف، ولذلك يقول أثناسيوس:

> **"لأن القديسة مريم التي أخذ منها جسده كانت قابلة للموت، ولذلك من المناسب أنه حينما كان في الجسد أن يعاني وأن يبكي وأن يتعب ... عندما يقال بكى واضطرب ... كانت هذه من خصائص الجسد، وأيضاً طلب أن تعبر عنه هذه الكأس ... هذا الانفعال أيضاً كان خاصاً بناسوته"** (ضد الأريوسيين ٣: ٥٥).

لكن شرح الإيمان لا يقف عند هذه النقطة الهامة؛ لأن المعلم العظيم يقول:

"حيث أن الرب صار إنساناً، فهذه الأمور تمَّت، وتقال عنه كإنسان لكي يبطل أوجاع الجسد ويحرر الجسد منها" (ضد الأريوسيين ٣: ٥٦).

وبعد ذلك يقول:

"فيما صار إنساناً فقد أخذ جسداً يخاف، ولأجل تحرير الجسد وحَّد إرادته الذاتية (كأقنوم) بالضعف البشري؛ لكي يبيد هذا الضعف ويعطي لكل إنسان الشجاعة في مواجهة الموت" (ضد الأريوسيين ٣: ٥٧).

لقد جاء المخلص لكي يبيد ذلك الخوف مع كل أوجاع الجسد:

"لأنه أباد الموت بالموت. وفي جسد بشريته أبطل كل أوجاع الإنسان لأنه بالجسد نزع خوفنا" (ضد الأريوسيين ٣: ٥٧).

سوف نتعرض فيما بعد للسؤال: "لمن قدم الابن جسده؟" في محاضرة خاصة، لكن الذي يهمنا هنا الآن هو ثلاث نقاط رئيسية:

أولاً: إن قداسة المسيح هي تحول الناسوت في كيان الابن الكلمة. وتحول الإنسانية التي أخذها من والدة الإله، ليس تحولاً ميكانيكياً تم بمجرد اتحاد أقنوم الابن الكلمة بالبشرية التي اتحد بها، ولكن كان الجسد ينمو ويتقدم لأن الناسوت أو الإنسانية كانت محتاجة إلى أن تتقدم (ضد الأريوسيين ٣: ٥٣).

وعندما يتكلم القديس أثناسيوس عن نمو الجسد في القامة، يقول: "كان يزداد فيه ظهور اللاهوت أيضاً، ويظهر للكل أن الجسد هو جسد الله" (ضد الأريوسيين ٣: ٥٣).

ثانياً: إن المسيح له المجد اجتاز الموت بإرادته ومات بإرادة حرة قبلت الموت

بسبب محبته للبشر، وهي نقطة سوف نفرد لها محاضرة خاصة.

ثالثاً: الذبيحة أبطلت الموت؛ لأنها ذبيحة من هو الحياة، فقد أعطى الكلمة حتى مع وجوده في جسد بشري الحياة لجسده البشري" (راجع ١٧: ٢)، ولذلك قدس الجسد (١٧: ٥).

إن العنصر القوي في تدبير الخلاص لم يكن قداسة الجسد، رغم وجوده وتأكيده؛ لأن الصدام هو صدام الحياة مع الموت وليس صدام قداسة الرب مع الخطية؛ لأن الخطية التي تملك بالموت مثل ملك جلس على عرش يملك على الحياة، كانت في حصن الموت وعرشه، ولكن عندما جاء الرب وهدم الموت، هدم الخطية، وكلمات القديس بولس في رومية ٥: ٢١ لا تحتاج إلى شرح:

"حتى كما ملكت الخطية في الموت".

ινα (كما) ωσπερ εβασιλεσιν (ملكت) η αμαρτια (الخطية)

εν τω (في) θανατω (الموت)

والكلمة التي وضعنا تحتها خط هي مُلكٌ حطَّمه الرب بموته:

"بالموت أباد الموت وانتصر على الموت بالصليب" (تجسد الكلمة ١٩: ٣).

"ولم يكن ممكناً أن يجعل الإنسان المائت غير مائت إلاَّ ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة ذاتها" (تجسد الكلمة ٢٠: ١، وراجع أيضاً ٨: ٤).

"وهكذا بقى الجسد في عدم فساد بسبب اتحاده بالكلمة" (٩: ١).

"وأبطل الموت ... ووضع بذبيحة جسده الخاص به أو الذاتي نهايةً لشريعة الموت" (١٠: ٥).

هكذا يجب علينا أن نغلق ملف العصر الوسيط، ونعود إلى هبة الحياة التي عندما أبادت عرش الموت، سقط أيضاً معه عرش الخطية.